

مكتبة دير السيدة العذراء مريم
(السريان)

باسم الآب والابن والروح القدس الله الواحد آمين

مُقَدِّمَةٌ

سر التجسد الإلهي من أهم معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وهو سر عظيم يفوق العقل البشري المحدود، وعنه يقول معلمنا بولس الرسول " بالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد " (١ تي ٣ : ١١) .

وفي هذا الكتاب الصغير - عزيزي القارئ - حاولت إظهار حتمية التجسد الإلهي والميلاد المجيد وأهميته لخلاص الإنسان، وإنه لم يكن أمام الله المهتم بخلاص الإنسان أية طريقة أخرى لفداء الإنسان وخلصه من براثن الموت والهلاك الأبدي إلا التجسد الإلهي حتى يتم الموت الكفاري وإيفاء العدل الإلهي حقه وبالتالي يتم خلاص الإنسان وفداؤه.



طبعة ثانية مزيدة

إعداد

نياافة الأنبا متاوس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

كما ذكرت بعض الأسباب الأخرى للتجسد الإلهي غير قضية الفداء.

ثم أوردت كلمة عن خدام سر التجسد الإلهي والميلاد المجيد البتولي، هؤلاء الخدام الذين شهدوا هذا الحدث العظيم وشهدوا له وأسهموا في البشارة به والإعلان عنه.

الرب يجعل هذا الكتاب سبب بركة لكل من يقرأه بشفاعة أمنا القديسة الطاهرة مريم وسيلة هذا التجسد الإلهي العجيب، وبصلوات أبينا المكرم قداسة البابا شنودة الثالث. آمين.

الأنبا متاوس

أسقف دير السريان العامر

ديسمبر ٢٠٠٦م
كيهك ١٧٢٣ش

تهديد

معنى التجسد: نقول في القداس الإلهي " تجسد وتأنس " والمعنى القبطي الحرفي " أخذ جسداً وصار إنساناً " وقد أخذ الرب يسوع هذا الجسد من العذراء القديسة الطاهرة مريم عندما حل في بطنها بالروح القدس، واستمر في بطنها تسعة أشهر كأبي جنين في بطن أمه.

متى تم التجسد: حينما بشر جبرائيل الملاك العذراء مريم قائلاً " الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلللك لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله "، واستسلمت العذراء مريم لإرادة الله قائلة " هوذا أنا أمة الرب ليكن لي كقولك " (لو ١)، حل الأقبونم الثاني من الثالوث القدوس في بطن العذراء ليأخذ منها جسداً وحل عليها الروح القدس ليطهرها وليطهر كل نقطة من دمها لتكوين الجنين، وحلت قوة الآب عليها

لتظللها وتحميها من كل شر وأذى ومرض أثناء حملها الإلهي.

لماذا التجسد: للتجسد أهداف كثيرة أهمها حل قضية الفداء المعقدة وإرجاع الإنسان مرة أخرى إلى رتبته الأولى التي سقط منها بالخطية ورده إلى الفردوس المفقود.

الفصل الأول قضية الفداء

خلق الله آدم ووضعه في الجنة وأوصاه ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر وحذره أنه يوم يأكل منها موتاً يموت (تك ٢: ١٧) جاء الشيطان بمكره وأغوى حواء بالأكل من ثمار الشجرة المنهى عنها وأعطت حواء رجلها آدم فأخذ وأكل (تك ٣: ٦) وعصى الله وكسر وصاياه.

لما عصى الإنسان الله كان يجب أن يموت حتى يوفي العدل الإلهي حقه، وإلا لا يكون الله عادلاً ولا يكون صادقاً في إنذاره السابق لآدم، إذن لابد أن يموت الإنسان ويهلك.

لكن موت الإنسان تقابله مشاكل وعقبات كثيرة
مثل :

١ - موت الإنسان ضد رحمة الله (١)

خاصة وأن الإنسان سقط بإغراء الشيطان المحتال المكار لذلك له بعض العذر في خطيئته، ورحمة الله تطلب خلاصه.

٢ - موت الإنسان ضد كرامة الله:

إذ أنه خلق الإنسان على صورته ومثاله في البر وقداسة الحق، وجعله متسلطاً على كل مخلوقاته وفرح به ورأى كل ما صنعه فإذا هو حسن جداً (تك ١: ٣١).

فكيف تتمزق صورة الله بهذه السهولة بفعل مكر الشيطان!؟

(١) دروس روحية من الميلاد والغطاس لقداسة البابا شنودة الثالث ص ٩

٣ - موت الإنسان ضد قوة الله:

كأن الله خلق خليفة ولم يستطع أن يحميها من شر الشيطان، وهنا يظهر الشيطان كأنه أقوى من الله، وقد انتصر في المعركة.

٤ - موت الإنسان ضد حكمة الله:

لقد خلق الله الإنسان بحكمة لكي يتمتع ببركات الله وبنوته له، فكيف يجرمه الشيطان بمكره من التمتع بهذه البركات وهذه البنوة والمحبة الإلهية. يقول القديس أناسيوس الرسولي كان خير للإنسان لو لم يُخلَق من أن يُخلَق ليلقى هذا المصير.

٥ - موت الإنسان ضد ذكاء الله:

إذ كيف توجد المشكلة ولا يستطيع عقل الله أن يجد لها حلاً ويترك الإنسان الذي خلقه بكل عناية ليكون فريسة أبدية للشيطان وللموت والهلاك والعذاب.

الله يريد أن ينقذ الإنسان من الموت ويورثه الملكوت المعد له من قبل إنشاء العالم.

لكن كيف؟ هل يسامح الله الإنسان رغم أنه حذره من العصيان؟ لم يكن ممكناً، لأن هذا التسامح يرضي الرحمة الإلهية، ولكنه لا يرضي العدل الإلهي، والعدل والرحمة في الذات الإلهية متساويان، ولا يمكن أن تظهر صفة على حساب الأخرى، أضف إلى ذلك أن طبيعة الإنسان كانت قد فسدت بالخطية وتحتاج إلى تجديد ما أصابها من فساد بل تحتاج إلى خلقة جديدة، وهذا العمل يستحيل على الإنسان الساقط وعلى أي نبي أو ملاك أن يتممه فالكل مخلوق ومحدود.

وخلق الإنسان من جديد يحتاج إلى الخالق نفسه^(١)، إلى الله الذي خلقه أولاً مستقيماً على صورته كشبهه، لقد خلق الله الإنسان في البدء في اليوم السادس ولما سقط وفسدت طبيعته، أعاد الرب خلقته

(١) كتاب أسئلة حول التجسد لنيافة الأنبا موسى ص ١٥.

من جديد في اليوم السادس وهو يوم الجمعة العظيمة الذي صُلب فيه الرب على الصليب، ومات عوضاً عن الإنسان، وفي ذلك يقول معلمنا بولس الرسول " لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين (اليهود والأمم) واحداً ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الاثنين (اليهود والأمم) في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به (بالصليب) " (أف ٢: ١٤ - ١٦)، ويقول أيضاً " مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها " (أف ٢: ١٠)، كما قال " إن كان أحد في المسيح يسوع فهو خليفة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً " (٢ كو ٥: ١٧).

ويقول القديس أثناسيوس الرسولي في ذلك " لأن الكلمة سر أن يُولد ميلاداً إنسانياً لكي يعيد خلق الإنسان من جديد في ذاته. صائراً صورة ومثالا

للتجديد لكي تشترك فيه صنعة يديه التي فسدت بالشر والفساد والموت، فأزال من على الأرض حكم الخطية، وعلى خشبة الصليب أزال اللعنة، وفي القبر افتدى الفاسد، وفي الجحيم أباد الموت، وهكذا افتقد كل مكان وكل حالة لكي يؤسس خلاص الإنسان كله ويعلن بذلك صورة جديدة لطبيعتنا.

فما هي الحاجة التي دعت الله الكلمة بان يولد من امرأة وأن ينمو خالق كل الدهور في القامة وان يُحسب عمره بالسنوات أو أن يختبر الصليب والقبر والجحيم؟!

إننا نحن البشر الذين خضعنا لكل هذا، فاجتاز هو كل هذا لأنه يطلب أن يخلصنا فأعطانا الحياة الجديدة في صورته الكاملة لكي نتشبه به (١).

(١) تجسد ربنا يسوع المسيح للقديس أثناسيوس الرسولي ص ٢٠.

لقد أخطأ الإنسان ضد الله، والله غير محدود لذلك صارت خطيته غير محدودة، والخطية غير المحدودة عقوبتها غير محدودة، لا تمحوها توبة الإنسان المحدودة الذي فسدت طبيعته، وإذا قدمت عنها كفارة فينبغي أن تكون غير محدودة ولا يوجد غير محدود إلا الله وحده لذلك كان ينبغي أن يقوم الله بنفسه بعمل الكفارة لكي يخلص الإنسان ويفديه من الموت الأبدي والهلاك الدهري، ويشترط العدل الإلهي في الفادي الذي يفدي الإنسان بأن يكون:

- ١ - غير محدود لأن خطية الإنسان غير محدودة.
- ٢ - بلا خطية ليتمكن من فداء غيره.
- ٣ - إنسان ليفدي الإنسان.
- ٤ - يموت بدلاً عن الإنسان.

المسيح هو الأقنوم الثاني من الثالوث القدوس كان قبل التجسد يتوفر فيه الشرطان الأولان فقط فهو كإله غير محدود لأنه روح يملأ كل مكان ولا يخلو منه

مكان وهو عظيم وقيمته أكبر من كل البشر مجتمعين، وهو كإله بلا خطية لأنه القدوس المتزه عن كل خطية وشر وهوى.

ولكي يكمل الشروط الأربعة المطلوبة في الفادي تجسد وتأنس أي صار إنساناً وأخذ جسداً من العذراء مريم وبهذا الجسد مات على الصليب بدلاً من الإنسان المحكوم عليه بالموت، وسفك دمه الطاهر لكي يوفي العدل الإلهي حقه ويفدي الإنسان من عقوبة الموت. ولكي يغفر للإنسان خطيته لأنه " بدون سفك دم لا تحصل مغفرة " (عب ٩: ٢٢)، وقد حصلت هذه المغفرة والمصالحة مع الله بدم المسيح المسفوك على الصليب " لأن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم " (٢ كو ٥: ١٩) والمسيح صنع هذا الصلح بدم صليبه (كو ١: ٢٠).

وهذه - ببساطة - المعادلة الصعبة التي قام الرب يسوع المسيح بحلها بتجسده الإلهي من العذراء مريم وموته المحيي على الصليب. وهذا هو السبب الرئيسي لسر التجسد الإلهي.

وعلى هذا المقياس نقول:

أن كل خطية نرتكبها هي موجهة ضد الله ذاته ولا تختلف في دينونتها عن خطية آدم وحواء، هي مثل خطيتهما غير محدودة لأنها موجهة ضد الله غير المحدود وهكذا فإن عقوبتها غير محدودة ولا تُغفر إلا بكفارة غير محدودة (١).

كل خطية نرتكبها هي عصيان لله، هي نوع من التحدي واحتقار وصاياه فهو القائل " إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي " (يو ١٤: ١٥).

(١) كتاب دروس روحية من الميلاد والغطاس لقداسة البابا شنودة الثالث ص ١١.

لذلك عندما أخطأ داود الملك وزنى مع بتشبع امرأة أوريا الحثي ثم قتله واغتصب امرأته، اعتبر الله هذه الخطية ليست موجهة إلى أوريا الحثي أو بتشبع بل موجهة له شخصياً وعاتب داود وعاقبه قائلاً " لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه. قد قتلت أوريا الحثي وأخذت امرأته لك امرأة وإياه قتلت بسيف بني عمون. والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد لأنك احتقرتني وأخذت امرأة أوريا الحثي لتكون لك امرأة. هكذا قال الرب ها أنذا أقيم عليك الشر من بيتك وأخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس، لأنك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس (٢صم ١٢: ٩ - ١٢).

ولما سمع داود هذا الكلام أفاق من غفلته وقال مخاطباً ناثان النبي " قد أخطأت إلى الرب " (٢صم

{ ٢٠ }

١٢: ١٣)، ولم يقل أخطأت إلى أوريا أو إلى بتشبع، بل اعتبر خطيته موجهة إلى الله مباشرة، وفي مزموور التوبة الشهير وهو المزمور الخمسون الذي قاله يعلن فيه توبته بعد هذه السقطة الشنيعة يقول مخاطباً الله " لك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت " (مز ٥٠: ٤).

حقاً إن كل خطية نعملها هي موجهة لله بالدرجة الأولى لأنه هو أبو جميع البشر ويهمه أمرهم وأي إساءة لهم هي إساءة له بالدرجة الأولى وبذلك تصبح خطية غير محدودة لأنها موجهة لله غير المحدود، وتحتاج إلى كفارة غير محدودة، وهذه الكفارة قد عملها المسيح الإله غير المحدود بموته الكفاري المحيي على عود الصليب وفي ذلك يقول الرسول " الذي بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد (فصنع) فداءً أبدياً " (عب ٩: ١٢).

{ ٢١ }

وبذلك فإن توبتنا واعترافنا بالخطية لله في حضرة الكاهن في سر الاعتراف لا يأخذ قوته ويجعلنا نحصل على المغفرة إلا بارتكازه على دم المسيح المسفوك على عود الصليب لأنه حمل الله الذي حمل خطايانا في جسده على الخشبة (١ بط ٢ : ٢٤).

ما هو موقف الكاهن من الغفران إذاً ؟

هل مجرد قراءة التحليل أو عبارة " الله يحاللك " هو كل شيء ؟ كلا بلا شك، فمجرد هذه الكلمة وحدها بدون دم المسيح لا تكفي.

والموقف هو كالاتي:

عندما يعطيك الكاهن الحل والمغفرة إنما يقوم بعملية تحويل، يحول الخطية من حسابك إلى حساب المسيح، ينقل الخطية من على رأسك إلى رأس المسيح، الحمل الذي يحمل خطايا العالم كله (يو ١ : ٢٩)

وحيثذ يمحوها المسيح بدمه (١) ولا يبقى لها وجود وبالتالي لا يكون لها عقاب.

ويجب أن يلحق التوبة والاعتراف تناول من جسد المسيح ودمه الأقدس حتى نغسل أنفسنا ونبيضها في دم الحمل ونصير من المفديين المخلصين الذين رأهم يوحنا الرائي واقفين أمام عرش الله يخدمونه نهاراً وليلاً وهم لابسون ثياباً بيضاء، ولما سأل من هم ومن أين أتوا أجابه واحداً من الأربعة وعشرين قسيساً الروحانيين السمايين قائلاً " هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة (العالم) وقد غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم الحمل (المسيح) من اجل ذلك هم أمام عرش الله يخدمونه نهاراً وليلاً في هيكله والجالس على العرش يحل فوقهم (يرعاهم) ويمسح كل دمعة من عيونهم (رؤ ٧ : ٩ - ١٧).

(١) كتاب دروس روحية من الميلاد والغطاس لقداسة البابا شنودة الثالث ص ١٢ .

الفصل الثاني

أسباب أخرى للتجسد الإلهي

١ - نائب عن البشرية

جاء السيد المسيح متجسداً من العذراء مريم حسب نبوة إشعياء النبي قائلاً " ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل " . (ش ٧ : ١٤) ونبوته القائلة " يولد لنا ولد ونعطي ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً أباً أبدياً رئيس السلام " (إش ٩ : ٦) .

جاء السيد المسيح متجسداً بسر عظيم لا ينطق به حتى أن الرسول بولس يقول " بالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد " (١ تي ٣ : ١٦) .

جاء المسيح لكي ينوب عن البشرية في تقديم الإنسان الكامل لله، ذلك الإنسان الذي أراده الله يوم خلق آدم على صورته ومثاله:

(أ) أهمل الإنسان التوبة وعمل البر، فجاء هو وتقدم إلى يوحنا المعمدان ليعتمد منه بمعمودية التوبة رغم أنه بلا خطية ومتره عن كل شر وقال في اتضاع " اسبح الآن لأنه ينبغي أن نكمل كل بر " (مت ٣ : ١٥) .

(ب) أهمل الإنسان الصوم الروحاني واكتفى بالصوم الحرفي الجاف، فصام هو أربعين يوماً صوماً روحانياً لكي يعلمنا كيف يكون الصوم المقبول .

(ج) هُزم الإنسان أمام تجربة إبليس وغلبته الشهوة فسقط، أما المسيح فقد انتصر على كل حروب إبليس وهزمه لكي يعلمنا كيف يكون الجهاد وكيف تكون النصر (مت ٤ : ١ - ١١) .

(د) أهمل الإنسان الصلاة، فقضى المسيح الليالي الطويلة في الصلاة على الجبال لكي يعلمنا كيف تكون الصلاة المقبولة والشركة العميقة مع الله .

(هـ) أهمل الإنسان وصايا الله وضرب بها عرض الحائط فجاء المسيح يقول " طعمني أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتم عمله " (يو ٤ : ٣٤) .

لم أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي. والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي لأني في كل حين أفعل ما يرضيه (يو ٨: ٢٨، ٢٩).
وبذلك ناب المسيح عنا في تقديمه للآب صورة الإنسان الكامل المطيع لوصايا الله حتى نتمثل به ونسير على هدى خطاه، لذلك قال "تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم" (مت ١١: ٢٩)، كما قال "لأني أعطيتكم مثلاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون انتم أيضاً" (يو ١٣: ٥)، ويقول معلمنا بطرس "تاركاً لنا مثلاً لكي تتبعوا خطواته" (١ بط ٢: ٢١) وبنفس المعنى يقول معلمنا يوحنا الرسول "من قال أنه ثابت فيه ينبغي أنه كما سلك ذاك (المسيح) يسلك هو أيضاً" (١ يو ٢: ٦).

{ ٢٦ }

٢ - السمو بالشرية

جاء الرب يسوع المسيح حتى يسمو بالشرية ويكملها دون أن ينقضها حسب قوله "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل" (مت ٥: ١٧)، لأن الشريعة أعطيت لبني إسرائيل وهم مبتدئون في معرفة الله وعبادته، ولذلك أعطيت شريعة بسيطة وغير عميقة حتى تناسبهم، فلما جاء ملء الزمان ووصل الإنسان إلى دور النضوج الروحي الكامل جاء المسيح بشريعة الكمال الإنجيلي بكل ما فيها من سمو وعمق وروحانية وكمال لذلك نراه في الموعظة على الجبل يقول:

"قد سمعتم أنه قيل للقديماء لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم، وأما أنا فأقول لكم أن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع ومن قال يا

{ ٢٧ }

أحمق يكون مستوجب نار جهنم " (مت ٥ : ٢١ ، ٢٢).

وهنا نراه يسمو بهذه الوصية من النهي عن القتل الفعلي الذي لا يمكن علاجه بعد إزهاق الروح إلى النهي عن الغضب والشتيمة والكلمات الجارحة التي تهيج الإنسان وتدفعه إلى القتل، يعالج الجذور والأسباب قبل أن يعالج النتائج والأعراض.

" قد سمعتم انه قيل لا تزن وأما أنا فأقول لكم أن كل من ينظر إلى امرأة ليشتيتها فقد زنى بها في قلبه " (مت ٥ : ٢٧ ، ٢٨)، هنا يعالج السبب الأصلي لخطية الزنا وهي النظرة الشريرة الشهوانية التي تملأ القلب بفكر الزنا وتهيج الجسد والغريزة الجنسية التي تسرق الإنسان إلى خطية الزنا الفعلي.

وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق، وأما أنا فأقول لكم أن من طلق امرأته إلا لعللة الزنا يجعلها

{ ٢٨ }

تزني ومن يتزوج بمطلقة فإنه يزني، نراه هنا يحصر الطلاق في علة واحدة وهي علة الزنا وهذه العلة في الواقع يصعب إثباتها بشهود أو وثائق. ولذلك يصعب الطلاق بسببها أيضاً لأنه موضوع حساس بين الزوجين وتصبح إثارته وإثباته خصوصاً على المستوى الرسمي.

فكأن المسيح هنا يحرم الطلاق حفاظاً على وحدة الأسرة ومستقبل الأولاد، وحرصاً على الناموس الأصلي للزواج حسب قول الرب " أما قرأتم أن الذي خلق منذ البدء خلقهما ذكراً وأنثى. ومن أجل ذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً، إذ ليس بعد اثنين بل جسداً واحداً، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان " (مت ١٩ : ٤ - ٦).

{ ٢٩ }

" أَيْضاً سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لَا تَحْنَثْ بَلْ أَوْفِ
لِلرَّبِّ أَقْسَامَكَ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَحْلِفُوا الْبَيْتَةَ "
(مت ٥ : ٣٣ ، ٣٤).

أباح الرب القسم الصادق باسمه في العهد القديم
لأنه كان حول بني إسرائيل شعوب وثنية كثيرة تحلف
بآلهتها، فسمح لشعبه بأن يحلفوا باسمه حلفاً صادقاً ولا
يحنثوا بأقسامهم ووعودهم.

أما في العهد الجديد عهد الكمال فمنع الرب
يسوع الحلفان منعاً باتاً ليس باسم الله المهوب فقط بل
وبالسماء والأرض، وأوصى بالكلام الصادق والمجرد
من أي حلفان وبأي شكل من الأشكال قائلاً " ليكن
كلامكم نعم نعم لا لا وما زاد على ذلك فهو من
الشرير (من الشيطان) (مت ٥ : ١٧).

سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول
لكم لا تقاوموا الشر (مت ٥ : ٣٨).

{ ٣٠ }

في العهد القديم أباح الرب الدفاع عن النفس ولو
أدى الأمر لفقاً العين مقابل العين أو كسر الأسنان
مقابل الأسنان أو كسر الرجل مقابل الرجل، وهو
إيذاء متبادل.

أما في العهد الجديد، عهد النعمة، فأوصى الرب
بعدم مقاومة الشر بالشر، وإنما مقابلة الشر بالمحبة
والتسامح والاحتمال وهذه الأمور كفيلة بكسر شوكة
الشر وتحويل العدو والمعتدي إلى صديق ونصير
وحيب.

" سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما
أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا
إلى مبغضيك وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم
ويضطهدونكم ... فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم
الذي في السموات هو كامل " (مت ٥ : ٤٣ - ٤٨).

{ ٣١ }

كانت شريعة العهد القديم وهي شريعة الطفولية الروحية توصي بمحبة القريب قرابة جسدية أي قرابة اللحم والدم، ولكن شريعة العهد الجديد شريعة الكمال وعهد النعمة توصي بمحبة جميع الناس حتى الأعداء المسيئين والمضطهدين حتى تحولهم إلى أصدقاء ومحبين.

وهكذا نرى الرب يسوع يسمو بالشريعة حتى تناسب عهد النعمة والكمال المسيحي.

٣ - إصلاح التعاليم الفاسدة:

كان الكتبة والفريسيون والناموسيون والصدوقيون قد شوهوا التعاليم وأفسدوها وفسروا الدين حسب مزاجهم الخاص وأبطلوا وصية الله بسبب تقاليدهم (مت ١٥: ٦) ووضعوا على أكتاف الناس أحمالاً عسرة الفهم ولم يمسوها هم بأحد أصابعهم، أغلقوا ملكوت الله أمام الناس فلا هم دخلوا ولا تركوا

الداخلين يدخلون (مت ٢٣)، من أجل ذلك وبخهم المسيح بشدة وكشف رياءهم أمام الناس (مت ٢٣)، وقال عن أمثال هؤلاء المعلمين الكذبة " جميع الذين أتوا قبلي هم سُراق ولصوص " (يو ١٠: ٨)، ذلك لأنهم غرسوا في أذهان الناس وقلوبهم تعاليم خاطئة ومفاهيم فاسدة، لهذا جاء المسيح ليصلح هذه المفاهيم ويقدم المفاهيم الصحيحة للدين وللوصية الإلهية.

لقد جاء السيد المسيح إلى العالم معلماً فيهر العالم بتعليمه فبعد أن أكمل الموعدة على الجبل، بهت الجموع من تعليمه لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة (مت ٢: ٢٨)، وكانوا يتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه المبارك (لو ٤: ٢٢).

كان الكتبة والفريسيون يأكلون بيوت الأرامل ولعلة ما يطيلون صلواتهم كانوا يطوفون البر والبحر ليكسبوا دخيلاً واحداً ثم يجعلونه ابناً لجهنم بتلقينه

تعاليم فاسدة ليست حسب الحق الإلهي المعلن في الكتاب المقدس.

كان الكتبة والفريسيون يعلمون الناس ألا يعولوا والديهم عند كبرهم واحتياجهم بل يكتفون بإرسال تقدماتهم إلى الهيكل كقربان ينتفع به الكهنة وحدهم فوبخهم الرب قائلاً " لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم فإن الله أوصى قائلاً أكرم أباك وأمك ومن يشتم أباً أو أمّاً فليمت موتاً وأما أنتم فتقولون من قال لأبيه أو أمه قربان هو الذي تنتفع به مني فلا يكرم أباه أو أمه فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم " (مت ١٥: ٢ - ٦).

لذلك أخذ الرب يسوع يجول في كل مكان يعلم الناس التعاليم الإلهية الصحيحة ويُصلح ما أفسده معلمو اليهود من الكتبة والفريسيين والشيوخ والريبيين

وكان الناس يتهافتون على سماع كلماته المملوءة نعمة وحياء.

٤ - التعرف على الله:

الله روح غير محدود، والإنسان محدود، فهل يبقى الله عالياً في سمائه عن الإنسان الترابي المحدود؟!

وهل يستطيع الإنسان برغم محدوديته وضعفه أن يصعد إلى سماء الله؟ بالطبع كلا، لقد حاول الكثيرون منذ سقوط آدم أن يقتربوا إلى الله فارتدوا أمام القول الرهيب " الإنسان لا يراني ويعيش " مثل موسى (خر ٣٣: ٢٠)، منوح (قض ١٣: ٢٢)، وغيرهما وهكذا بقى الله عالياً في سمائه وبقي الإنسان هابطاً في طين الأرض وظلمة الحسيات.

وفي ملء الزمان نزل الله وتجسد وأخذ صورة إنسان ودُعي اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا، وأعلن نفسه لنا جسدياً في صورة إنسان وشابهنا في

كل شيء ما خلا الخطية وحدها. وهكذا صار الإله غير المرئي مرئياً وغير المحسوس محسوساً دون أن يكف عن كونه الإله الروح المالى كل مكان وزمان وضابط الكل ومدبر الخليقة كلها، وحتى نعرفه عن قرب فنحبه أكثر وملتصق به أكثر وقد قال معلمنا يوحنا الرسول " الَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمَعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بَعْيُونَا، الَّذِي شَاهَدْتَاهُ، وَلَمَسْتُهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ فَإِنَّ الْحَيَاةَ أَظْهَرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الْآبِ وَأُظْهَرَتْ لَنَا الَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمَعْنَاهُ نُخْبِرُكُمْ بِهِ، لَكِي يَكُونَ لَكُمْ أَيْضاً شَرِكَةٌ مَعَنَا. وَأَمَّا شَرِكْتَنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الْآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ (١ يو ١ : ١ - ٣)

ويشبهه القديس أنثاسيوس الرسولي إلهنا العظيم في تجسده بالمعلم الصالح الذي لا ينتظر من تلاميذه أن يرتقوا إلى مستواه بل يتزل هو إلى مستواهم ليعرفهم

مقاصده وتعاليمه وهذا هو الوضع المنطقي المقبول والممكن، أما أن يبقى الله في علياء سمائه وينتظرنا حتى نتصاعد إليه رغم ضعفنا وترايبتنا فهذا هو عين المستحيل^(١).

حينما تجسد الله وصار إنساناً عرفناه عن قرب فأحببناه، وحينما مات على الصليب لكي يفدينا من الموت الأبدي زاد حبنا له وقربنا منه وشركتنا معه، وبمعرفته ننال الحياة الأبديّة حسب قوله " وهذه هي الحيلة الأبديّة أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته " (يو ١٧ : ٣).

ويوصينا الرسول بطرس بالنمو الدائم في معرفته والتعمق المستمر في الشركة معه فيقول " انموا في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح " (٢ بط ٣ : ١٨).

الذي له المجد الدائم إلى الأبد آمين

(١) أسئلة حول التجسد لنيافة الأنبا موسى ص ١٨.

الفصل الثالث

خُدَّامُ سِرِّ التَّجَسُّدِ الإِلَهِيِّ وَالْمِيلَادِ الْمَجِيدِ

لقد اهتمت بهذا الحدث العظيم السماء والأرض، واشترك في خدمة التجسد الإلهي والميلاد المجيد ملائكة من السماء وأناس من الأرض على اختلاف دياناتهم ومشاربهم، لقد سخر الله ضابط الكل كل هؤلاء الخدام لخدمة وإعلان هذا الحدث العظيم.

ومن هؤلاء الخدام:

١ - الأنبياء

لقد تنبأ كثير من أنبياء العهد القديم عن التجسد الإلهي والميلاد المجيد، بعضهم بالرموز وبعضهم بالنبوءات الصريحة، وكان ذلك قبل هذا الحدث العظيم بمئات وآلاف السنين. فمثلاً عندما أمر الرب موسى بعمل خيمة الاجتماع كانت كل محتوياتها ترمز إلى

العدراء مريم حاملة المسيح في بطنها أو على حجرها، ومن هذه الرموز: قسط المن - لوح العهد - عصا هارون - تابوت العهد - المنارة الذهبية وغيرها.

وقبل ذلك حينما ظهر له الرب في العليقة فاشتعلت بالنار ولم تحترق كانت هذه العليقة إشارة واضحة للعدراء مريم وهي تحوي في بطنها جمر اللاهوت ولم تحترق.

وداود النبي تنبأ عن ذلك قائلاً " أساساته في الجبال المقدسة ... إن إنساناً وإنساناً (تأكيد ناسوته) حل فيها (أي تجسد منها) وهو العلي (إثبات ألوهيته) الذي أسسها (خلقها) " (مز ٨٧ : ١ - ٥) .

تنبأ إشعياء النبي عن ذلك قائلاً " ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل " (إش ٧ : ١٤) ، كما تنبأ قائلاً " يولد لنا ولد وتعطي ابناً ويدعى اسمه

عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام " (إش ٦ : ٩).

تنبأ حزقيال النبي قائلاً " ثم أرجعني إلى طريق باب المقدس الخارجي المتجه للشرق وهو مغلق. فقال لي الرب هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح ولا يدخل منه إنسان لأن الرب إله إسرائيل دخل فيه فيكون مغلقاً. الرئيس هو يجلس فيه ليأكل خبزاً أمام الرب " (حز ٤٤ : ١ - ٣).

وأنبيا آخرون كثيرون تنبأوا عن هذا التجسد العظيم والميلاد البتولي مثل حجي وميخا وملاخي وغيرهم كثيرون.

٧ - رئيس الملائكة جبرائيل:

لما جاء ملء الزمان المحدد من قبل الله للتجسد وخلص الإنسان أرسل الله جبرائيل الملاك إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من

بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم، فدخل إليها الملاك وبادرها بالتحية وبشرها بحلول الكلمة الإلهي في بطنها لخلص البشرية قائلاً " ها أنت تحبلين وتلدن ابناً وتسمينه يسوع هذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى .. الروح القدس يجلب عليك وقوة العلي تظلك فلذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله " ولما قبلت العذراء مريم البشارة بتسليم كامل لإرادة الله قائلة " هوذا أنا أمة الرب ليكن لي كقولك " حل اللاهوت في بطنها ليأخذ منها جسداً، ومضى من عندها الملاك بعد ان أكمل بشارته (لو ١)، وتعيد الكنيسة القبطية لهذه البشارة المفرحة يوم ٢٩ برمهات من كل عام وتعتبره عيداً سيدياً كبيراً، وتعمل له تذكراً كل يوم ٢٩ من الشهر القبطي. وليست بشارة العذراء مريم هي كل ما عمله رئيس الملائكة الجليل جبرائيل، بل هو الذي بشر زكريا الكاهن بولادة ابنه يوحنا المعمدان سابق السيد المسيح ومهيئ الطريق قدامه،

٣ - العذراء مريم

هي التي قامت بالدور العظيم في إتمام سر التجسد والميلاد إذ قبلت البشارة وحملت السيد المسيح متجسداً في بطنها تسعة شهور ثم ولدته وهي عذراء وبتوليبتها محتومة وكانت هذه معجزة إلهية، ثم خدمته كطفل صغير ينمو قليلاً كشبه البشر وهو بلا خطية وحده وتحملت من أجله الكثير من الاضطهاد والمتاعب والرحلة الشاقة في الهروب إلى مصر والرجوع منها وغير ذلك الكثير.

٤ - يوسف النجار

وهو خطيب العذراء مريم الذي شهد له الكتاب انه كان باراً (مت ١: ١٩) شك في بادئ الأمر في حبس العذراء ولما جاءه الملاك وطمأنه قائلاً " يا يوسف بن داود لا تحف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حُبِلَ به فيها هو من الروح القدس .. فلما استيقظ يوسف

وهو الذي أقنع يوسف النجار بحبل مريم العذراء من الروح القدس وليس من فعل زنى حتى اطمأن قلبه وقبل الوضع بفرح، وهو الذي بشر الرعاة بميلاد المخلص قائلاً " لا تخافوا فيها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقمطاً مضطجعاً في مزود " (لو ٢: ١٠ - ١٢)، وهو الذي ظهر ليوسف وأمره أن يأخذ الصبي وأمه ويهرب إلى مصر ثم ظهر له في مصر وأمره بالرجوع إلى اليهودية لأنه قد مات الذين يطلبون نفس الصبي (مت ٢).

لهذا كله أعطت الكنيسة للملاك جبرائيل لقب ملاك البشارة لدوره الكبير في البشارة والميلاد، كما أعطت الملاك ميخائيل لقب ملاك القيامة لدوره الكبير في دحرجة الحجر وبشارة المريمات.

من النوم فعل كما أمره الملاك وأخذ امرأته " (مت ٢٠ : ٢٥ - ٢٥) بعد أن كان يفكر في تركها والتخلي عنها.

وقد تحمل مع العذراء مريم مشقة تربية الطفل يسوع ومشقة الهروب إلى مصر حرصاً على حياة الصبي كما أمره الملاك قائلاً " قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزعم أن يطلب الصبي ليهلكه فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر وكان هناك إلى يوم وفاة هيرودس (مت ٢ : ١٣ - ١٥) .

وقد تحمل يوسف في هذه الرحلة متاعب كثيرة في سبيل الرب يسوع، وقد عاش يوسف النجار البار حتى رأى يسوع شاباً يافعاً وعلمه مهنة النجارة وتنيح بسلام في السنة السادسة عشر لميلاد المسيح بعد أن أدى دوره كاملاً في خدمة المسيح المتجسد، وتُعيد له

الكنيسة في اليوم السادس والعشرين من شهر أبيب المبارك. بركة صلواته فلتكن معنا آمين.

ه - أوغسطس قيصر

كانت نبوة الكتاب المقدس تقول أن المسيح سيولد في بيت لحم " وأما أنت يا بيت لحم أرض أفراتة لست الصغرى بين ولايات يهوذا، لأن منك يخرج الذي لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل " (مي ٥ : ٢) .

هذا بينما كانت مريم العذراء الحبلى بالمسيا المنتظر تسكن في الناصرة إحدى مدن الجليل في أقصى شمال بلاد فلسطين بينما بيت لحم التي يجب أن يولد فيها حسب النبوة تقع في إقليم اليهودية في جنوب فلسطين والمسافة بين المدينتين شاسعة وكبيرة، والمواصلات قليلة وبدائية، ولا يخطر على بال يوسف أو مريم الذهاب إلى بيت لحم رغم أنه مدينة آبائهما إذ ليس

لهما فيها أية مصالح وقد انقطعت صلتهما بما منذ زمن طويل، ولكي تكمل النبوة بحذافيرها جعل الرب في قلب أوغسطس قيصر إمبراطور الدولة الرومانية أن يأمر بعمل اكتاب عام لكل الإمبراطورية والولايات التابعة لها لحصر رعاياه ومعرفة تعدادهم، وكانت فلسطين إحدى ولايات الإمبراطورية الرومانية وكان من شروط الاكتاب أن يرجع كل إنسان إلى موطنه الأصلي ليُكتَب فيه " فصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة إلى مدينة داود التي تُدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليُكتَب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى، وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد فولدت ابنها البكر فقمطته وأضجعتة في المزود " (لو ٢ : ١ - ٧).

وهكذا سخر الله الإمبراطور الروماني الوثني لإتمام نبوة الكتاب المقدس فأمر بالاكتاب في الوقت المناسب

{ ٤٦ }

حتى يضطر يوسف ومريم للذهاب إلى بيت لحم وهناك يتم الميلاد الإلهي حسب النبوة الإلهية، المجد لك يارب يا ضابط الكل.

٦ - جمهور من الجند السماوي

لم يظهر رئيس الملائكة جبرائيل منفرداً للرعاة الساهرين على حراسة قطعانهم في الكورة المحيطة ببيت لحم لكي يبشرهم بميلاد المخلص بل ظهر معه جمهور من الجند السماوي (الملائكة) مسبحين الله وقائلين " المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة " (لو ٢ : ١٣ - ١٤).

ومازالت تسبحتهم الخالدة نرددها في كل قداس ويكثر ترددها في الاحتفالات بعيد الميلاد المجيد وهي توضح فرح الطغيمات السماوية بميلاد المسيح على الأرض التي مألها بالسلام وغمر الناس بالمسرة، وفرح الملائكة بهذه المناسبة ينبع من اهتمامهم وفرحهم

{ ٤٧ }

بإخلاص الإنسان، وتجدد المسيح وميلاده غرضه الأساسي هو خلاص الإنسان.

٧ - الرعاة

حالما مضت الملائكة إلى السماء بعد بشارة الرعاة وإعلان فرحهم بميلاد المخلص " قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض لنذهب الآن إلى بيت لحم وننظر هذا الأمر الواقع الذي أعلمنا به الرب فجاءوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضطجعا في المزدود فلما رأوا أخبروا بالكلام الذي قيل لهم من الرعاة... ثم رجع الرعاة وهم يمجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوه كما قيل لهم (لو ٢ : ٨ - ٢٠).

وهكذا أسهم الرعاة في البشارة بميلاد المخلص ونقلوا كلام الملاك المبشر وتسبحة جمهور الملائكة التي سمعوها إلى مريم وإلى يوسف وكل الحاضرين، وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة. ونحن مازلنا

نجدد الله ونشكره ونتعجب من محبته واتضاعه وبذله في النزول إلينا لأجل خلاصنا.

٨ - النجم

كما أعلن الله ميلاده بالجسد للرعاة اليهود بملاك من السماء وهذا يتناسب مع عقيدتهم وكتبهم، أعلن ميلاده لمجوس من المشرق بواسطة نجم غريب ومتميز، وهذا يتناسب مع ديانتهم لأنهم كانوا يعبدون الكواكب ويهتمون برصدها ودراستها، مما أثار اهتمامهم وجعلهم ينزحون من بلادهم البعيدة في إيران متحملين مشاق السفر الطويل، متبعين النجم الغريب العجيب حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي (لو ٢ : ٩)، وهكذا نرى أن الله يخاطب كل إنسان باللغة التي يفهمها لكي يخلص على كل حال قوماً ويقتادهم بكافة السبل إلى معرفته.

وأوجه الغرابة في هذا النجم العجيب كثيرة منها:

- ١ - كان هذا النجم يتقدم من الشرق إلى الغرب وعادةً النجوم تسير من الغرب إلى الشرق.
- ٢ - كان هذا النجم يقف في بعض الأماكن كما حدث عندما جاء ووقف حيث كان الصبي في بيت لحم، بينما النجوم العادية تسير في مداراتها بانتظام وبدون توقف.
- ٣ - لقد ظهر هذا النجم في الطبقات السفلى من السماء حتى يستطيع أن يحدد لهم الطرق التي يسلكونها والمدن التي يدخلون فيها، بينما النجوم العادية عالية جداً لا يمكنها أن تقوم بهذه المهمة.
- ٤ - كان النجم يظهر نهاراً ليرشدهم في السفر ويختفي ليلاً حينما يستريحون بينما النجوم العادية تظهر ليلاً وتختفي نهاراً بسبب قوة ضوء الشمس. لقد كان هذا النجم في قوته ولمعانه أقوى من ضوء الشمس ولذلك كان يراه الجوس بوضوح أثناء النهار والشمس طالعة.

- ٥ - كان النجم يظهر ويختفي حسب خطة مرسومة إلهية، كما حدث أنه اختفى حينما وصلوا أورشليم حتى يسألوا عن المولود في قصر هيرودس الملك فيقوم هيرودس الملك بجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب ويسألهم أين يولد المسيح، فيفتشون في الكتب المقدسة والنبوات ويجيبونه في بيت لحم اليهودية لأنه هكذا مكتوب بالنبى وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل (مت ٢: ٣ - ٦).
- وقد ظهر لهم مرة أخرى بعد خروجهم من أورشليم ففرحوا بظهوره وقادهم إلى بيت لحم حتى جاء ووقف حيث كان الصبي (مت ٩).
- ويرى ذهبي الفم أنه لم يكن نجماً عادياً، بل قوة إلهية خاصة أرسلها الله لتقوم بهذه المهمة.

حقاً لقد كان هذا النجم خادماً أميناً قاد المجوس إلى المخلص وجعلهم يؤمنون به ويقدمون له سجود التعبد والهدايا الرمزية العظيمة.

هذه هي وظيفة الخادم الأمين أن يوصل الناس إلى المسيح فيحبونه ويعبدونه ويسلمونه حياتهم ويقدمون له قلوبهم بدل الذهب، وصلواتهم لباناً وبخوراً طاهراً وجهادهم الروحي مرأ قاطراً ورائحة زكية.

٩ - المجوس

هم حكماء من أهل فارس كانوا يعبدون النجوم والكواكب ولهم دراية واسعة بعلم الفلك ورصد الكواكب.

ولما رأوا هذا النجم الغريب عرفوا أنه نجم المسيا المنتظر عند اليهود لذلك جاءوا يقولون قد رأينا "نجمه" وقد ذكرهم هذا النجم بنبوة جدهم بلعام القائلة "يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من

إسرائيل فيحطم طرفي موآب ويهلك كل بني الوغا " (عد ٢٤ : ١٧).

لقد تركوا بلادهم طلباً في مقابلة الرب الملك المولود وهكذا نحن لا نستطيع أن نتقابل مع الرب إلا إذا تركنا محبة العالم وشهواته وملذاته.

لقد قاسوا الكثير من التعب في هذا السفر الشاق حتى تقابلوا مع المسيح، وهكذا يجب أن نتعب ونتحمل كل شيء في سبيل المسيح حتى نتلقى معه وتكون لنا شركة قوية معه.

لقد كانوا خداماً أمناء للمسيح، جاءوا من بلادهم وأيقظوا اليهود من غفلتهم وجعلوهم يبحثون في كتبهم ونبواتهم عن مكان ميلاد المدير العظيم والراعي الحقيقي لهم وعرفوا أنه يولد في بيت لحم (مر ٢ : ٥).

وعند رجوعهم إلى بلادهم بعد مقابلتهم للمسيح وتقديم الإكرام له أصبحوا أول كارزين للمسيح بين

شعبهم مما هيا أفكار الناس لقبول دعوة رسل المسيح عندما ذهبوا إليهم فأمنوا بالمسيح.

لقد قدم الجحوس للمسيح أولاً سجود الإكرام والعبادة ثم قدموا له ثلاث هدايا ترمز لوظائفه الثلاث:

الذهب : رمز للملكه إذ أنه ملك السموات والأرض " له على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب " (رؤ ١٩ : ١٦).

اللبان : رمز لكهنوته، لأنه قدم ذاته ذبيحة حية أبدية عن كل البشر " لأنه يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس " (عب ٧ : ٢٦).

المر : رمز لآلامه الكفارية عن البشرية كما قال عنه إشعياء النبي " مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه ومجبره شفيننا " (إش ٥٣ : ٥).

قدموا له هذه الهدايا حسب عادة بلادهم إذ كانوا يقدمون الذهب للملوك واللبان (البخور) للآلهة، والمر لتكفين الموتى.

١٠ - أليصابات

كانت أليصابات السيدة البارة السالكة في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم، أول من عرفت بالروح القدس سر التجسد الإلهي في بطن العذراء مريم وأول من طوّبت العذراء الطاهرة ومدحتها على هذا الاختيار الإلهي العظيم. فعندما زارها العذراء مريم بعد البشارة مباشرة، دخلت بيت زكريا وسلمت على أليصابات فلما سمعت أليصابات سلام مريم ارتكض الجنين بابتهاج في بطنها وامتألت أليصابات من الروح القدس وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك، فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلي، فهوذا حين صار صوت سلامك في أذني ارتكض الجنين بابتهاج في بطني. فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب " (لو ١ : ٤٠ - ٤٥).

لقد كانت أليصابات أول من آمنت بسر التجسد وأول من بشرت به وأول من طوبت العذراء حاملة السر الإلهي.

١١ - زكريا الكاهن

كانت أول كلمات فاه بما زكريا الكاهن بعد أن انحلت عقدة لسانه عند ميلاد يوحنا نبوة عن المسيح الآتي لافتقاد شعبه وصنع الفداء العظيم فقال بروح النبوة والمسيح مازال في بطن أمه لم يولد بعد " مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه ... " (لو ١ : ٦٨ - ٧٠)، ومعروف أن المسيح جاء من سبط يهوذا ومن نسل داود بينما زكريا كان من سبط لاوي.

واستمر زكريا في نبوته عن مجيء المسيح وعن وظيفة ابنه يوحنا المولود حديثاً كسابق للمسيح لكي يعد الطريق أمامه ويهيئ الأذهان لمجيئه قائلاً " وأنت أيها الصبي (يوحنا) نبي العلي تدعى لأنك تتقدم أمام وجه الرب . يسوع المسيح) لتعد طريقه، لتعطي شعبه

معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم بأحشاء رحمة إلهنا التي بما افتقدنا المشرق من العلاء ليضيء للجالسين في الظلمة وظلال الموت لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام " (لو ١ : ٧٦ - ٧٩) .

وهكذا كان زكريا الكاهن خادماً أميناً ونبياً عظيماً تنبأ عن المسيح الآتي لخلاص شعبه وأن ابنه يوحنا سيكون هو الذي يعد الطريق أمامه مثل الجندي الذي يسبق موكب الملك لكي يعد الطريق أمامه ويخبر الناس بقدوم الملك المنتظر. وذلك حسبما سمع من الملاك جبرائيل عندما بشره بيوحنا قائلاً " يرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم. ويتقدم أمامه (أمام المسيح الإله المتجسد) بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهيئ للرب شعباً مستعداً " (لو ١ : ١٦ ، ١٧) .

١٢ - سمعان الشيخ

لقد كان سمعان هذا هو أحد السبعين عالماً الذين اختارهم بطليموس فيلادلفوس ملك مصر لترجموا

الكتاب المقدس من العبرية إلى اليونانية وكان نصيبه أن يترجم سفر إشعياء النبي ولما جاء عند قول النبي "ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل" (إش ٧: ١٤)، تحير وفكر كثيراً كيف تحبل عذراء بتول بدون زواج ولا زرع بشر، ومن كثرة التفكير نام فرأى في الحلم من يقول له لن ترى الموت حتى ترى تحقيق هذه النبوة فافتنع وترجم الآية كما هي وبعدها عاش عمراً طويلاً حتى تم ميلاد المسيح، وبعد أربعين يوماً أخذته أمه ويوسف النجار إلى الهيكل ليصنعا له حسب عادة الناموس (لو ٢: ٢٧)، وكان سمعان قد أتى إلى الهيكل مقتاداً بالروح رغم شيخوخته وفقده بصره، فحمل يسوع على ذراعيه وللوقت انفتحت عيناه وأبصر وشكر الله وسبحه على صدق مواعيده وإتمامها وخاطب الله قائلاً "الآن تطلق عبدك يا سيد بسلام حسب قولك لأن عيني قد أبصرتا خلاصك (المسيح المخلص) الذي أعدته قدام وجه جميع

الشعوب نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل " (لو ٢: ٢٩ - ٣٢).

وفعالاً قد أكمل السيد المسيح الخلاص لجميع الشعوب، لليهود والأمم، وفي ذلك يقول معلمنا بولس الرسول "لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين (اليهود والأمم) واحداً ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة... لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به (بالصليب)" (أف ٢: ١٤ - ١٦)، وبعد ذلك مباشرة تنيح سمعان الشيخ وفي نفس اليوم (٨ أمشير) كما يذكر السنكسار بعد أن أعلن لنا بالروح القدس أن هذا المولود هو المخلص الفادي لكل البشرية والمسيا المنتظر الذي تنبأ عنه إشعياء النبي أنه سيولد ميلاداً بتولياً عذراوياً.

بركة هذا القديس العظيم فلتكن معنا آمين

بعض المراجع

- ١ - الكتاب المقدس بعهديه.
- ٢ - تجسد ربنا يسوع المسيح للقديس أنثاسيوس الرسولي.
- ٣ - دروس روحية من الميلاد والغطاس لقداسة البابا شنوده الثالث.
- ٤ - أسئلة حول التجسد لنيافة الأنبا موسى أسقف الشباب.
- ٥ - بعض تفاسير الكتاب المقدس.